الشام ، ويصرح بأنه وصل إلى بعلبك وحمص ، ويصور إحساسه بالغربة فى هذه الديار البعيدة ، وشوقه إلى وطنه وأهله وصاحباته ، ثم يعود إلى فخره بنفسه وأسرته التى توارث أبناؤها المجد والغنى والشرف من قديم الزمان ، ويذكر طائفة من الأيام التى خاض غمارها مع قومه وانتزعوا فيها النصر من خصومهم ، ثم يختم القصيدة ببيت يفتخر فيه بشربه الخمر متعة المتع فى المجتمع الجاهلى . والأمر الذى لا شك فيه أن هذه القصيدة تعد وثيقة تاريخية بالغة الأهمية تؤكد رحلته إلى قيصر ، ولكنها تؤكد وصوله إليه ولا شئ من تلك التفاصيل الكثيرة التى يذكرها الرواة بعد ذلك ، فالموقف بعد ذلك يبدو غامضا لا نستطيع أن نطمئن إلى شئ منه ، وظهور ابن الكلبى على مسرح الرواية يجعلنا أقرب إلى رفضه ، ومن هنا كنا نميل إلى ما يذهب اليه الدكتور شوقى ضيف من أنه من الممكن ن يكون امرؤ القيس قد حاول اللجوء إلى الحارث الغسانى ، وأنه وجهه إلى قيصر ، غير أنه مات فى الطريق قبل أن يصل إليه ، وأنه من المحقق أن كل ما ذكره الرواة بعد ذلك منتحل موضوع .

وهكذا وضع القدر هذه النهاية الحزينة لمأساة الملك الضليل . لقد ذهبت محاولاته استعادة ملك أسرته وعرش أبيه أدراج الرياح ، وأبى الموت إلا أن يقف دونها فأسدل عليها ستار الختام ، وليس من اليسير أن نحدد تماما تاريخ وفاته ، ولكنه كان بدون شك فى النصف الأول من القرن السادس ، وربما كان ذلك فيما بين سنتى ٥٣٠ ، ٥٤٠ للميلاد .

وامرؤ القيس - بدون منازع - أشهر شعراء العصر الجاهلى ، وهو يعد بحق أبا الشعر العربى . وترجع أهميته الفنية إلى أنه هو الذى وضع للشعراء الجاهليين تقاليد القصيدة العربية ، وفتح لهم أبواب القول ،ومهد لهم سبله ، ولفت نظرهم إلى طائفة من الموضوعات والمعانى والصور التى عاشت عليها هذه القصيدة فترة طويلة من تاريخها ، وكان لهم الرائد الخبير بالطريق الذى كشف عن كثير من مسالكه ودرويه لأول مرة فى تاريخ الشعر العربى ،وسلك بهم طرقا